القرآن الكريم ومظاهر الجمال في الكون الفسيح

د. مصطفى فايز

كلية الطب البيطرى

جامعة قناة السويس

www.mostafafayez.com

www.farmcaring.com

الإسلام يتعامل مع الحياة بكل جوانبها، ومع الإنسان بكل ملكاته، ويتعامل مع قلبه كما يتعامل مع عقله، يتعامل مع جسمه كما يتعامل روحه ووجدانه.

وإذا كان الإحساس بالجمال وتذوقه فطرةً أودعها الله فى النفس الإنسانية، فللقرآن كلمة فى هذا المعنى، فقد لفت القرآن الكريم انتباه الإنسان إلى الجمال الذى أودعه الله فى كل ما خلق؛ ليستمتع به الإنسان.

من ذلك الإشارة إلى ما فى الكون من مظاهر الجمال والزينة. فحين يعدد الله نعمه على الإنسان يذكر الجانب النفعى العملى ويتبعه بذكر الجانب الجمالى، نحو قوله تعالى: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾، فهنا ذكر الجانب النفعى للأنعام، ثم يقول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾؛ فهذا هو الجانب الجمالى، وكذلك قول الله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾.

وفى آية تالية يذكر الله عز وجل نعمة تسخير البحر للإنسان، وذكر من جوانب التسخير الحلية التى تستخدم للزينة ولنتجمل بها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، وتقرن العبادة بالجمال والزينة فى القرآن الكريم، من ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

وحين تلفتنا آيات القرآن إلى النظر فى الكون تشير إلى ما فى هذا الكون من مظاهر الجمال والروعة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾. وكذلك ما أخرج الله من الأرض: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

وآيات القرآن نفسها قمة فى الروعة والجمال: جمال على مستوى الصوت المفرد، وعلى مستوى الكلمة، والآية، والسورة، وهذا باب واسع.

ولقد كان لهذا الجمال الرفيع فى القرآن الكريم أثر كبير فى نفوس المسلمين، مما ارتقى بمستوى الحس الجمالى.

لقد وضعت المعجزة القرآنية الرائعة المسلمين أمام وعى جمالى جديد، ينطلق هذا الوعى من خالق الجمال: البديع، الذى كل جمال فى الوجود هو من آثار جماله، فالله سبحانه وتعالى له جمال الذات وجمال الأوصاف وجمال الأسماء وجمال الأفعال، والله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى، وهو سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾، وعن النبى صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال»؛ فمن كمال محبة الله وتوحيده: محبة الجمال والسعى إلى إدراكه، بل إن منتهى نعيم الآخره عند المؤمن: رؤية وجه الله عز وجل الذى يفيض على وجوه الناظرين إليه نضرة وجمالاً، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

كما يلفت القرآن الكريم انتباهنا

القرآن الكريم يلفت نظر الإنسان إلى الجمال الذى أودعه الله فى كل ما خلق وجعله متعة لهذا الإنسان

إلى تمام الجمال فى مخلوقات الله، قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾.

فالكون كله منظومة جمالية بكل معانى الجمال، ولطالما عبثت يد الإنسان بهذا الجمال فأفسدته، ويلفت القرآن الكريم انتباهنا إلى هذا المعنى فى قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

والجمال الحقيقى هو الذى يتصل ويتفق مع الجمال الأعلى لله عز وجل، فى حين أن الجمال الخادع هو الذى ينفصل عن الجمال الأعلى ويصبح قيمة سلبية، تدرك ذلك من قول النبى -صلى الله عليه وسلم-: «إياكم وخضراء الدمن».

هذا يؤكد حقيقة الرؤية الإسلامية للجمال بوصفه تكاملاً بين الظاهر والباطن، ويزداد الوعى بالجمال كلما ازدادت الصلة الإيمانية بالحق المبدع لكل جمال؛ حيث يرى تجليات الخالق فى جمال خلقه، فإذا ارتفعت النفس وسمت إلى مستوى النفس الجميلة استطاع الإنسان أن يدرك الجمال فى الأشياء، واستطاع أن يفعل الفعل الجميل، ويمكن أن نلمح هذه المعانى فى الآيات: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

ولنا الأسوة فى سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى التطبيق العملى لمعانى الجمال، حين يأمر أصحابه بأن يهتموا بمظهرهم فيقول -صلى الله عليه وسلم-: «من كان له شعر فليكرمه».

أين واقعنا من الجمال؟

فإذا كان الإسلام يحث على الجمال والتجميل فى كل شىء فلماذا لا نطبق ذلك فى حياتنا العملية؟ ولماذا لا نحرص على جمال اللفظ والمظهر، وجمال النفس والقلب.

آيات لا حصر لها تدل على منظومة جمالية هائلة لطالما أفسدتها يدُ الإنسان

ولتربية الأطفال على هذه القيم الجمالية؟ أعظم الأثر فى إدخال السرور والسعادة والبهجة على النفوس، وحسبنا أن نرى المفارقة العجيبة بين جمال صنع الخالق فى زرقة السماء وخضرة الأشجار وألوان الأزهار – وبين تلال القمامة فى شوارعنا وتكدس السيارات بلا نظام على جانبى الشارع، وخنق حركة المرور فيه، وشغل الأرصفة بأشياء شتى والمعاملة السيئة للمخلوقات خاصة الخيل والحمير..

وكل هذه الصور عدوان على الجمال، ولكن إذا لاحظنا جمال خلق الله ودقة النظام فيه، وتأسينا به فلن نجد شوارعنا تملؤها الصور البغيضة للاعتداء على الحيوانات وكذلك زيادة القاذورات، ولن نجد إشغالات مرور، ولن نجد من يخالف إشارات المرور ليتعدى حدود الطريق، ولن يقع الأذى على الآخرين..

كل هذه صور تطبيقية للجمال والبهجة فى النفوس.

إن الفرق بين الجمال والعشوائية هائل، يستحق منا أن نراجع أنفسنا، وأن نبحث عن مواطن الجمال فى هذا الكون الفسيح وفى خلق الله فى هذا الكون وفى المخلوقات والأنعام التى خلقها الله لنا لنعمر بها هذا الكون، وجعلنا عليها خلفاء: «إنا جعلناك فى الأرض خليفة» وقد وجب الشكر علينا لنفعها ولجمالها وسبحان الله الخالق البارئ المصور، القاهر، بديع السموات والأرض الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه.